د. جمال نصّار

أثر العولمة

في الفكر العربي الحديث

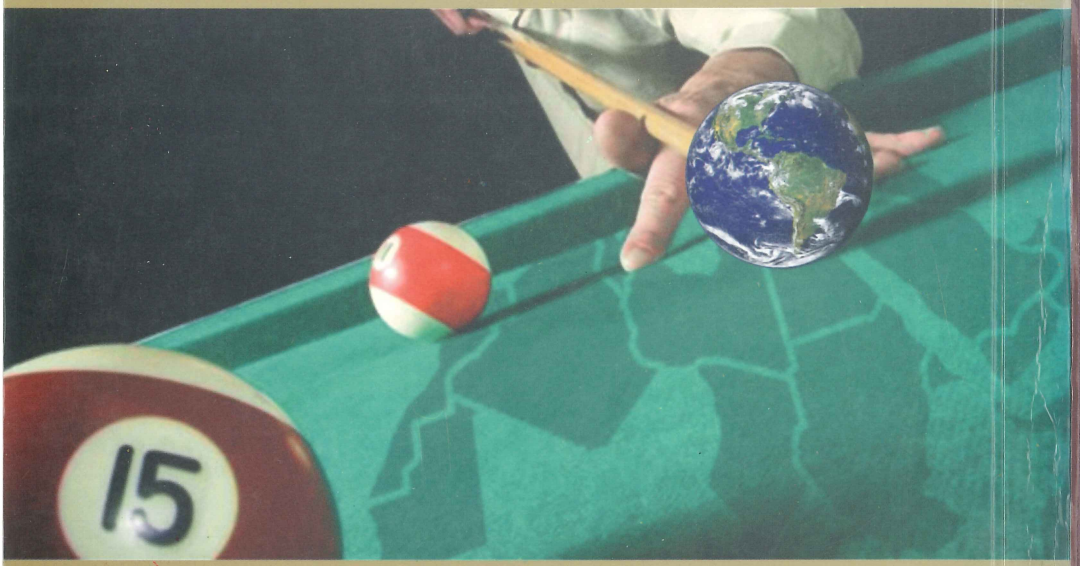

المركز الحضاري للدراسات المستقبلية

د. جمال نصار
أثر العولمة في الفكر العربي الحديث
المركز الحضاري للدراسات المستقبلية

المؤلف في سطور..

من مواليد مدينة المحلة الكبرى (١٩٦٧م) - محافظة الغربية - جمهورية مصر العربية.

- ليسانس دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٨٩م.
- ماجستير في الفلسفة الإسلامية بتقدير ممتاز بعنوان: (آداب الجدل والخلاف في الفكر الإسلامي) ١٩٩٦م.
- دكتوراه في الفلسفة الإسلامية بمرتبة الشرف الأولى بعنوان: (المصطلح الأخلاقي في الفكر الإسلامي.. أصوله وتطوره) ٢٠٠٢م.
- دبلوم في المفاوضات الدولية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ٢٠٠٧م.
- مدير المركز الحضاري للدراسات المستقبلية.
- عضو الجمعية الفلسفية المصرية من عام ١٩٩٨م.
- عضو نقابة الصحفيين المصرية والعرب.
- عضو اتحاد الناشرين المصريين.
- عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

الإنتاج العلمي:

- مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي - دار الوفاء - المنصورة.
- دراسة في الثقافة الإسلامية - المتنبي - السعودية.
- الثقافة الإسلامية "دراسات وبحوث" - المتنبي - السعودية.
- أدب الاختلاف في الرأي وضوابطه - مكتبة الشروق الدولية - مصر.
- نهضة الأمة بين القيم الروحية والتقدم المادي - مكتبة الشروق الدولية - مصر.
- الأخلاق الإسلامية ودورها في بناء المجتمع - المتنبي - السعودية.
- حرية الإنسان في التصور الإسلامي - دار الأندلس الجديدة - القاهرة.
- أثر العولمة في الفكر العربي الحديث - المركز الحضاري للدراسات المستقبلية - القاهرة.
- آفاق الحوار مع الغرب (الإشكالية والانطلاقة) (تحت الطبع).
- الوطن والمواطنة في الفكر الإسلامي (تحت الطبع).
- دور الإعلام في ترسيخ الحوار الثقافي (تحت الطبع).

مقدمة

معيار قوة أي أمة وتقدمها ورضاء مواطنيها لم يعد معتمدًا بما تملكه هذه الأمة من ثروات طبيعية فقط، أو من السلاح والعتاد، بل بما يتاح لها من قدرات على تملك رأس المال المعرفي لدى الأمم الأخرى، ومما تولده وتنتجه قوتها البشرية توليدًا وإنتاجًا ذاتيًا.

والمتأمل لحال الفكر والثقافة في العالم العربى يجد أنه محشور بين الثقافة التقليدية وثقافة الكوكبية (العولمة)، وهذا يعنى أنه يقع بين شقى الرحى إن صح التشبيه، فحجر الرحى الأسفل ما تراكم من الأفكار والممارسات بعضها فوق بعض في مسيرتنا الثقافية، وحجرها الأعلى تحديات الكوكبية وثوراتها المعرفية وضغوطها السياسية والاقتصادية والثقافية.

وفى الحجر التقليدى الأسفل من الرحى أفكار ومؤسسات تقليدية نمطية، إلى جانب التردد في عمليات التطوير، والتى حين تحدث فبمقدار معلوم محدد تخوفًا من زعزعتها للأوضاع الراهنة، وركونًا إلى آليات السلامة والعافية وخشية المجهول.

أما الشق الأعلى للرحى فهو ما يكثر الحديث فيه عن ظواهر

الكوكبية (العولمة) ومتغيراتها المختلفة بفرصها ومشكلاتها، وبخاصة ما تموج به ثورات معرفية لها مصادرها العلمية والتكنولوجية والاتصالية.

ولابد لنا في هذا المقام أن نؤكد أن علينا ألا نقف موقف الذي تجرفه تلك الآليات والتيارات للسوق الطليق، حيث نستطيع أن نعمل العقل والإرادة الجماعية - أمة وأفكارًا - نضبطها والتحكم فيها وفق مصالحنا.

والواقع أننا في حاجة إلى تطوير ما في ثقافتنا من أخلاط بدوية أو ريفية زراعية وتوجهات العقلية الميكانيكية النمطية، لنتجاوزها إلى عقلية ثقافية مرنة تطورية نسبية التوجه متعددة الرؤى والمناظير، منفتحة للبدائل والامتداد إلى ما بعد معطيات الواقع وتجاوزها إلى آفاق أرحب وأخصب في التفاعل مع الحضارات الأخرى شمالية وجنوبية.

والكوكبية أو العالمية أو العولمة يمكن أن يستفاد بها في إطار الفكر العربى الحديث، واستخلاص من يتناسب مع هويتنا وثقافتنا وهذا ما دعى إليه الإسلام وحث عليه «الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها».

أما إذا كان الهدف من العولمة هو محو ثقافتنا وهويتنا، فبلا شك نرفض هذه العولمة، طالما أنها تصطدم معنا، وتفرض علينا ما لا يتناسب مع ظروفنا وحياتنا.

وفى هذا البحث أحاول جاهدًا توضيح مفهوم العولمة، وثقافتها، وموقف المؤيدين والمعارضين لها، وأثرها في المثقف العربى، والخطاب العربى، والثقافة العربية، وكيف نتعامل معها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه

المؤلف

***

مفهوم العولمة:

من الطبيعي أن يتفاوت فهم الأفراد للعولمة ومضامينها المختلفة؛ فالاقتصادى يفهم العولمة بخلاف عالم السياسة، كما أن عالم الاجتماع يفهمها فهمًا قد يختلف فيه عن المهتم بالشئون الثقافية.

والعولمة لغويًا: «هي اشتقاق من العالم ومن العالمية» [١] ولا شك أن هناك فرقًا بين العالمية والعولمة، لأن الأولى ترتبط بالانتشار، أم الثانية فقد ترتبط بالهيمنة.

واصطلاحيًا: هي مرحلة من مراحل التفكير الإنساني في العالم المعاصر، بدأت بالحداثة، ما بعد الحداثة، العالمية، ثم العولمة، ونحن الآن في مرحلة الأمركة، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة الكوكبة - نسبة إلى كوكب الأرض- ثم يتطلعون بعد ذلك إلى مرحلة الكونية [٢]

وعلماء الغرب يعرفون العولمة بأنها: «تداخل بين الاتجاهات

---

(١) العولمة السياسية انعكاستها، وكيفية التعامل معها، د. فضل الله محمد إسماعيل، بستان المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، صـ٩.

(٢) المرجع السابق، صـ١٠ .

المختلفة في العالم، ولها صبغاتها المختلفة، صبغات اقتصادية - في أغلب الأحيان- صبغات سياسية، صبغات ثقافية، صبغات حضارية. كما يصفونها بأنها اتجاه كاسح لابد من ملاقاته سواء رضينا أم أبينا، ويشبهونها بالموت» (١)

ويعرف الدكتور إسماعيل صبرى عبد الله العولمة بقوله :« الكوكبة أو العولمة هي: التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداء يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية» (٢)

ويعرف محمد إبراهيم مبروك العولمة بقوله: «إنها تناظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتناظم آليات فرضه سياسيًا واقتصاديًا وإعلاميًا وعسكريًا بعد التداعيات التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي، وسقوط المعسكر الشرقي» (٣)

من هنا يمكن القول إن العولمة نسق معين سياسي، اقتصادي، ثقافي، عسكري، ينتقل من بيئة إلى أخرى، وغالبًا ما يكون الانتقال من بيئة حضارية متقدمة إلى بيئة حضارية من دول العالم الثالث؛

(١) المرجع السابق، صـ١٠ .
(٢) نقلًا عن المرجع السابق، صـ١٢ .
(٣) المرجع السابق، صـ١٣ .

فالمستعمرون يقلدون المستعمرين، وهذا ما تفرضه العولمة الآن.

والعولمة عملية سيادة وتعميم يصاحبه عملية إلغاء وتعتيم، فالعولمة: سيادة الأقوى، وتعميم مصطلحاته ومقولاته، وسياساته، مع إلغاء الآخر والتعتيم على أدواره وفعالياته في غالب الأحيان.

ولعل التركيز على البعد الاقتصادي في تعريف العولمة نابع من كونها نتاجًا لتطور النظام الرأسمالي وحاجته إلى التوسع المستمر في الأسواق، وعلى الرغم من غلبة البعد الاقتصادي على أغلب تعريفات العولمة، إلا أن دلالة المصطلح في تطورها استقرت على أنها: ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية، ويحدث فيها تحولات على مختلف الصور تؤثر في حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان.

هذه التعريفات تتباين في درجة قبولها وخطورتها، حيث نجد أن أكثر المفكرين المسلمين ينبه على خطورته مع التركيز على الاقتصادي كما فعل د. سعد البازعى حيث يقول: «العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب تشكله المصالح الاقتصادية، ويحمل قيمًا تدعم انتشار تلك المصالح وترسخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة.. إنها بكل بساطة عملية يدفعها الجشع الإنسانى للهيمنة على الاقتصاديات المحلية والأسواق وربطها بأنظمة أكبر

والحصول على أكبر قدر من المستهلكين، وإذا كان البحث عن الأسواق والسعي للتسويق مطلبًا إنسانيًا قديمًا وحيويًا ومشروعًا، فإن ما يحدث هنا يختلف في أنه بحث يمارس منافسة غير متكافئة وربما غير شريفة من ناحية ويؤدى من ناحية أخرى إلى إضعاف كل ما قد يقف في طريقه من قيم وممارسات اقتصادية وثقافية»[١].

***

(١) نحن والعولمة من يربى الآخر، بحث للأستاذ سعد البازعي بعنوان المثقفون والعولمة والضرورة، ضمن سلسلة المعرفة (٧)، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، صـ٧٣.

المبحث الأول ثقافة العولمة

فكرة العولمة تمتد جذورها الأولى من خمسة قرون بظهور فكرة الدولة القومية محل فكرة الإقطاعية .. ومع زيادة التقدم أصبحت الدولة لا تستوعب حجم السوق فظهرت الشركات متعددة الجنسيات، وحلت في مجال السوق محل الدولة تدريجيًا، حتى أضحى العالم مجالًا لعمل هذه الشركات التي تبلغ أكثر من ٤٠٠ شركة تزيد قيمة رأسمالها عن ميزانية مجموعة من الدول النامية (١)

ويقصد بثقافة العولمة الإطار المعرفى الذي يجعل النظام الرأسمالى مقبولًا من سائر الشعوب، ولا يكون في هذه الحالة في صورة ظاهرة تتمثل في إخضاع عقل هذه الشعوب لتقبل النظام الرأسمالى فحسب، بل إعلانًا للتكييف من قبل مفكرين استراتيجيين مخططين لوضع

(١) كيف نواجه العولمة، د. أحمد طه خلف الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، صـ٣٥، بتصرف.

دعامات فكر بعينه ييسر تقبل فكرة الانخراط في حركة الرأسمال وسيرورته كما يحلو للغرب أن يسيره [١]

والكلام في ثقافة العولمة متشعب، ومن الصعب حصره أو الإلمام به، ولكن يمكن القول: إن الإطار الفكرى أو الثقافى لأفكار دعم الرأسمالية يعمل بدأب على إقناع الشعوب بموافقته للعقل؛ لأنه يحقق رغبات الأفراد بحرية مطلقة، وإذا اعتبرنا أن هذه الأفكار تقف على قاعدة أساسية تمثل نظرية خاصة بالمجتمع الرأسمالي، فإن هذه النظرية «تزعم أن الرأسمالية مشروعية أزلية، بحيث صارت نظامًا يمثل نهاية التاريخ» [٢]

ومشروع الرأسمالية لا يقتصر على قاعدته الاقتصادية فحسب ، بل ينحو إلى إيجاد نظرية متكاملة، وإن كان الاقتصاد قاعدتها، فإن أركانها تقوم على تحقيق رغبات أفراد المجتمع، كما تفرض أنماطًا اجتماعية وسياسية، وثقافية، وأنماطًا معيشية تمتزج بالقاعدة وتتفاعل معها لتصبح نمطًا رأسماليًا معولمًا، يخبئ في بطنه رغبة كامنة تظهر وقت الحاجة، عندما يشعر أصحاب النظرية الرأسمالية بخطر يتهددها، وعند

(١) العولمة والإسلام والعرب، د. السيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، صـ٣٩.

(٢) مناخ العصر رؤية نقدية، سمير أمين، ضمن كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربى، نشر مركز البحوث، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ١٩٩٩م، صـ٢١.

ذلك تكشر الرأسمالية عن أنيابها، وتكشف مخالبها كما حدث في حرب الخليج، ومحاصرة شعوب العالم الثالث، واتخاذ قرارات تعسفية إزاء رفع دول الخليج لأسعار البترول، وفى فرض الخطر النووي على الدول الإسلامية وتهديدها بشتى العقوبات.

وهكذا فإن الرأسمالية تفرض نفسها على الشعوب بما يتلاءم مع مصالحها، ويقف سياسيون محترفون، ومثقفون استراتيجيون وراء فرضها على العالم وفى مقدمة هؤلاء: «فرانسيس فوكوياما» وكتابه: نهاية التاريخ، و«صمويل هنتجتون» في كتابه: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، وهى أفكار رئيسية تعضد نظرية العولمة الأمريكية، وربما تعضدها أعمال أخرى لمثقفين استراتيجيين من النوع نفسه، إلا أن هذه الأعمال تقوم بدور المحاور الأساسية، فإذا كان ثمة أفكار أخرى فهى تدور في فلكها.

فالعولمة ليست قاطرة للتنمية الشاملة بقدر ما هي قضبان يسير عليها فكر جديد [١]، وهى عودة للفلسفة القائمة على فكر القوة والغلبة لمن يستطيع أن يدخل في المنافسة [٢].

إن ثقافة العولمة ثقافة أمريكية بالدرجة الأولى، والثقافة الأمريكية

---

(١) العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصرى، د. بثينة حسنين عمارة، دار الأمين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، صـ٢٢.

(٢) المرجع السابق، صـ٢٤.

ثقافة برجماتية أداتية عملياتية، سواء في إطارها العرفى العام أو في جزئياتها داخل الإطار المعرفى العام، ترمى إلى تفعيل البعد النفسى للفرد فيقبل كل متواضعاتها، وإن أثر ذلك سلبًا في البنية الاجتماعية الموضوعية.

إن هذه الثقافة تخدم ثقافة السوق الاستهلاكية طبقًا للصورة المهيأة للعالم من المنظور البرجماتى، ومن ثم فهي تهيئ الفرد نفسيًا وسلوكيًا ليكون خاضعًا لآلياتها مستجيبًا لمتطلباتها، دونما تفكير في الاعتراض أو التعديل.

ومخططو هذه الثقافة في مجالاتها التسويقية لا يعنيهم احترام البعد الأخلاقي في الإنسان، بقدر ما يهمه نجاح خططهم في تحويل كل المجتمعات إلى مجتمعات مستعدة لقبول هذه الثقافة وتسويقها حتى ولو سحقتهم آليات السوق الجهنمية ، فهم يكيفون الفرد لآلياتهم المعرفية فيعيش في حلم الخلاص الفردي دونما إحساس بما يمكن أن يتعرض له الأفراد من سحق السوق المعولمة الوحشية لهم، فهذه الثقافة الأداتية تجعلهم يغيشون في حلم الخلاص الفردي الذي يحقق للإنسان ذاتيته نفسيًا وسلوكيًا، ويعيّشه في وهم الصعود الثقافي باعتناق ثقافة الديمقراطية الحرة بمفاهيمها التي تقصي التراث الديني والثقافي للفرد إقصاءً يطمسه في مشاعر الوهم الذاتي كما تجعله في الوقت نفسه يعيش في وهم الصعود الاجتماعي الاستهلاكي، وينتهي به الحال إلى تمزيق

العلاقات الإنسانية التراحمية، لتحل محلها العلاقات التعاقدية النفعية[١].

«من هنا فإن من حق البعض ألا يتفاءل كثيرًا بحلول عصر العولمة الثقافية التي قد تتحول تدريجيًا إلى فرض عالمي لثقافة الغنى، مع محو تدريجي لثقافة الفقير، واستبدالها بما يتناسب أو ينسجم مع مكوناته وأصوله الثقافية والحضارية، مما يثقل من كاهل هذه الظاهرة أولها: محاولة إزالة فقره مع محاولة الحفاظ على ثقافته وهويته، ثم وقاية نفسه من مؤثرات الثقافة الأخرى التي قد تسهم سلبًا في محاولة إزالته لفقره»[٢]

وفى إطار العولمة ينساق كثير من الدول في سباق نحو القاع أو الهاوية، إذ إنها في إطار التسابق إلي مزيد من الإعفاءات والحوافز والميزات النسبية التي تعرضها على المستثمر الأجنبي لجذب الاستثمارات العالمية تجد نفسها في مواجهة عجز متزايد في إيراداتها ، كما أنها في إطار الاستجابة لشروط العولمة تجد نفسها مضطرة إلى تقليص أو إيقاف الدعم لغير القادرين وإلغاء التأمين على المهمشين والأفراد الأكثر تعرضًا للمخاطر وعلى حد قول د. جلال أمين: « فإن بعض الدول تتحول إلى صورة كوميدية لها كل المظاهر الخارجية للدول ذات

(١) العولمة والإسلام والعرب، مرجع سابق، صـ ٤٠ – ٤١ .
(٢) العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصرى، مرجع سابق، صـ٢٩ .

السيادة ولكنها في الحقيقة تنحصر مهامها في عملية الإخلاء والتسليم والتسلم [١]

وإذا كان مثقفو الغرب ومفكروهم أصحاب المواقع الراسخة المؤثرة في الثقافة في العالم المعاصر ينشدون ثقافة بلا حدود تواكب الاتجاه العولمى وتسايره كما يبدو في الرؤيا الثقافية في الغرب، فإنهم في حقيقة الأمر يصنعون مبررات سيطرة الثقافة الغربية بلا حدود «وهو الأمر الذي قطع شوطًا مهمًا من الإنجاز على أرض الواقع، في ظل اتجاه متزايد نحو عالم بلا حدود ثقافية » [٢]

وهذه الفكرة - فكرة ثقافة بلا حدود - لتواكب العولمة التي يروج لها مفكرو الغرب، وخاصة في الولايات المتحدة، تبزغ في العالم في نفس الوقت الذي يحافظون فيه على مقومات الدولة القومية لأنها أساس «الوحدة الرئيسية والمحورية في النظام السياسي العالمي المعاصر» [٣]

إن الضغوط تتوالى من أجل فرض أسس ثقافية نمطية تستغل دعاوى الديمقراطية والمشاركة، والمكاشفة، وحقوق الإنسان إلى غير ذلك من العناصر التي يمكن أن تشكل قواعد صالحة للتطوير

---

(١) الوطنية في عالم بلا هوية: تحديات العولمة، د. حسين كامل بهاء الدين، دار المعارف، ٢٠٠٠م، صـ ٧٢ .

(٢) العولمة، د. عبد الخالق عبد الله، عالم الفكر، أكتوبر ١٩٩٩م، عدد ٢ صـ٨١ .

(٣) العولمة ودور جديد للدولة، د. هالة مصطفى، مجلة السياسة الدولية العدد ١٣٤، سنة ١٩٩٨م، صـ٤٧ .

والتحوير لو أنها صيغت في إطار المنظومة الثقافية الوطنية، بينما تعمل أدوات الاتصال والمعلومات جاهدة من أجل غرس قيم وتمجيد ما يعتبر ثقافة عالمية جديرة بالاعتبار[١]

كما أن هناك محاولات للتغلغل في ثنايا المجتمعات عن طريق ما يسمى بالمجتمع المدني والمنظمات الأهلية التي يفترض فيها أن تقوم بمساعدة الأهالي في مختلف المستويات والمناطق على اكتساب قدرات لحل مشاكلهم، لتصبح أدوات إشاعة مفاهيم تتفق ومقومات ثقافية وحضارية غربية، ويستغل في ذلك ما تقدمه الدول المتقدمة من معونات[٢]

يقول الدكتور محمد عمارة: « إن العولمة لا تثمر اعتمادًا متبادلًا، ولا تثمر العالمية التي هي مطمح الشعوب وأمل الحضارات، ومطلب المستنيرين، إنما تثمر تزايد الخلل في علاقات الأقوياء بالمستضعفين الساعين إلى النهوض والانعتاق من مأزق التخلف والاستضعاف .. وهم يبشرون بالعولمة لا باعتبارها أحد الخيارات المطروحة وإنما باعتبارها قدرًا لا سبيل إلى الفرار منه» [٣]

---

(١) العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، تحرير د. عبد الباسط عبد المعطى، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، صـ ٩٣.

(٢) المرجع السابق، صـ ٩٤

(٣) العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، صـ ١٦ .

ومما يدل على ذلك أن الأنماط الاستهلاكية التي بدأت تسود في العالم العربي والإسلامي بدءًا من مشروب الكوكاكولا والبيبسى وسندوتشات الهامبرجر والمطاعم والملابس والأفلام والمسلسلات والتقاليع والأنماط الغربية وجدت صدى لها في الشارع العربى والإسلامي !!

ومن ثمّ نجد أن «العولمة الثقافية تريد أن تسلخنا من جلدنا وأن تنزعنا من هويتنا أو تنزع منا هويتنا، وأن تنفق في أمتنا بضائعها الفكرية ومعلباتها الثقافية الملوثة بالإشعاع الحاملة للموت والدمار» (١)

إن العقل الغربي الذي أوصل صاحبه إلى امتلاك التقنية، أجبر الإنسان على أن يتخلى عن عقله، لأن الآلة تقوم بكل شيء أو لأن التقنية لا تطور الأشياء تطورًا حرًا، إذ إنها تطور الماديات أما الأخلاق والمواهب الإنسانية فإنها تقتلها قتلًا .

إن الإنسان يسير داخل هذا المجتمع معتقدًا أن النظام الديمقراطي أعظم النظم السياسية، ويرى ذاته في إنجازات التقدم الصناعي في تلك السيارة والتلفزيون والكمبيوتر، وأطعمة بعينها، وأزياء خاصة، ومن ثم فإن هذه الحرية التي يفتخر بها المجتمع الأمريكي مفروضة على المواطنين دونما اختيار، لأن الفرد في هذا المجتمع يختار ما هو محدد له

(١) المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م، صـ ٤٦ .

بالفعل، وعن هذه الحرية تحدث «ماركيوز» كما تحدث عن الأفراد الذين يتمتعون بها ووصفهم بالعبيد فقال: « إن عبيد الحضارة الصناعية المتقدمة عبيد راقون، لأن الحرية لا تتحدد بمجرد الطاعة، ولا بالعمل الشاق الذي يقوم به الإنسان، إنما تتحدد بقدر ما أن يكون الإنسان شيئًا»[1].

***

(١) مجلة الفكر المعاصر، العدد ٨٥ لسنة ١٩٦٩م، صـ ٢٧ .

المبحث الثاني
العولمة بين المؤيدين والمعارضين

لا شك أن العولمة ليست وجهًا واحدًا وإنما أخطبوطية تشمل الاقتصاد والسياسة والفكر والدين والأخلاق والثقافة والتقاليد والعادات، ولو فرضنا أن الهدف الأساسي هو السيطرة الاقتصادية فإنها لا تتم بغير معاوناتها الأخرى[١]

والعولمة نوع من الاتحاد بين البشر كافة بهدف تعميم السيادة على حساب التنوعات والخصائص الفارقة للأمم والثقافات[٢]

وذهب البعض إلى أن العولمة مصطلح ومفهوم تدار من قبل السياسات الاقتصادية والتفاعلات المالية والضغوط السياسية لمجموعة متنوعة من الفاعلين[٣]

إن ظاهرة العولمة تعد تحديًا اقتصاديًا وثقافيًا خرج من بطن أعظم

(١) المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، صـ١٣.
(٢) كيف نواجه العولمة، د. أحمد طه خلف الله، مرجع سابق، صـ ٣١ .
(٣) العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، مرجع سابق، صـ ١٢ .

قوة في العالم اليوم وأخطرها، وأكثرها جنوحًا للبطش والهيمنة.

والأمر اللافت للنظر والفكر معًا أن قضايا العولمة وإشكالاتها طرحت كظاهرة ، والظاهرة لا فكاك منها، فهي تتلبس المهتمين بها فتشغلهم، خاصة إذا كانت الظاهرة تدور حول قضايا تهم كل الموجودين في المحافل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والإعلامية، فضلًا عن المنتديات الوطنية في الوطن الواحد أو خارجه، بحيث لا تنفك عن قضاياه.

ومن هنا كان هناك من يدعو إلى العولمة والأخذ بها، وفريق آخر يحذر من خطرها على هويتنا وثقافتنا والبعد عنها .

أولاً: المؤيدون للعولمة:

لا شك أن الذين يؤيدون فكرة العولمة، والأخذ بإيجابياتها يستندون إلى أنها أحدثت نقلة نوعية في عالم المعلومات في كل ميادين المعرفة، وقربت المسافات، واختصرت الزمن، وكما يقول الدكتور «حامد عمار» «لا مناص من وضع أنفسنا في توجهات العالم الذي نضطرب فيه ومعه، ومن الاشتباك مع القوى الحاشدة التي تشكل حركته. وليس من المستغرب، بل إنه من المطلوب- أن يتساءل المرء مع تدفق تيارات العولمة، وما بعد التصنيع، وما بعد الحداثة، هل نحن- واقعًا ووعدًا - بإزاء عالم جديد حقًا ؟ وهل هو عالم - كما يدعى أقطابه

- مبشر في أحد وجهي عملته بالعيش المشترك وبحقوق الإنسان، وبالعدل الاجتماعي؟ وهل نحن متجهون نحن التلاقح الخصب بين الحضارات؛ من أجل تأسيس ثقافة «التنوع الإنساني المبدع» (١)

ولعل الداعين إلى مواكبة العولمة ينطلقون من حيث انتهت مقولة «فرانسيس فوكوياما» الرأسمالية الحرة نهاية التاريخ أى أن التاريخ بحسب رأيه - لم يعد قادرًا على استيلاء مذهب اقتصادي بعد الرأسمالية الحرة ، التي تفترض توحد الحركة المالية والسوق في العالم كله، بمساندة الديمقراطية الأمريكية ووسائلها.

إن العولمة بهذا المعنى تشبه القطار، وهو قطار برجماتى قوى يحكم على من يمر به، بأن يركب فيه، وإلا بقى وحده منفردًا لا يحمله شيء إلى حيث يريد، وكأن ذلك الذي يتخلف عن الركب يتحدى المعايير الدولية في سباق العولمة، بل يتحدى ذلك الحلم الرأسمالى الذي يبدو في العقل الأمريكي نبوءة إنسانية مقدسة (٢)

إن المؤرخ الأمريكي «بول كيندي» في كتاب الإعداد للقرن الحادي والعشرين يجسد للعالم هذه النبوءة - ذات القدسية - فالعولمة برأيه ظاهرة إنسانية تقدميه تطورية، خرجت من رحم حس إنساني وجودي

(١) مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، د. حامد عمار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، صـ٣٦.

(٢) العولمة والإسلام والعرب، مرجع سابق، صـ١٣.

راق، تولدت من رحم الثورات الصناعية المتعاقبة، ولاسيما من الثورة الإلكترونية، وثورة علوم الليزر، وثورة المعلومات والاتصالات، والهندسة الوراثية، وثورة المواصلات التي اختزلت المسافات وضيقت الفجوة بين الخلافات الحضارية والمذهبية ، وجعلت الحدود السياسية وسيلة تنظيمية، وليست عقبة عسكرية، ويسرت انتقال رؤوس الأموال والأفكار والتقنية، وصيانة البيئة، مؤكدة أن هذه الصيانة تعنى نضج البشرية في التعامل مع الموارد الطبيعية من ماء وهواء وتربة ومعادن وأشجار ونبات في إطار التناغم البيئي، باعتبار أن الإضرار بغابات الأمازون، أو الكونغو لا يعنى الإضرار بأبناء أمريكا الجنوبية أو إفريقيا فقط بل الإضرار بأبناء أوروبا وآسيا[١]

وكما يقول ويذهب البعض أنه « لا يمكن لأية دولة أن تعيش بمعزل عن العولمة فهي أمر واقع، وأنها قد ولدت لتبقى ، وأن التفاعل معها بعقل متفتح وتخطيط واقعي طموح يتوخى تأمين أكبر قدر من الإيجابية وتجنب أكبر قدر من السلبية هو السلوك الأكثر جدوى للحاضر والمستقبل[٢]

وقد أحصى «بول فاليرى» في كتابه «نظرات على عالم اليوم» خمسة

(١) صحيفة الأهرام القاهرية، ٢١/ ٥/ ١٩٩٩م .

(٢) العولمة في ميزان الفكر: دراسة تحليلية، د. عاطف السيد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، ٢٠٠١م، صـ ١٢٧ .

سمات للعولمة هي:

١- الجرد العام للموارد.

٢- الأرض الصالحة للسكن معروفة ومتسكشفة ومسجلة ومقسمة.

٣- الترابط بين أطراف الكرة الأرضية.

٤- تضامن جديد مفرط وفوري.

٥- العادات والطموحات ومشاعر الود التي انعقدت أواصرها خلال التاريخ السابق [١]

ويذهب البعض إلى أن العولمة أدت إلى وحدة القيم الثقافية، فمن يقرأ «همنجواى» الأمريكي، و«تشيكوف» الروسي، و«طاغور» الهندي، و«جونتر جراس» الألماني، و«برناردشو» الأيرلندي و«نجيب محفوظ» المصري؛ وكلهم أبدعوا في ظل مجتمعات وظروف ثقافية مختلفة يدرك على الفور على الرغم من اختلاف اللغة والهوية والقومية أنهم اشتركوا في الدفاع عن قيم ثقافية واحدة»[٢]

ولعل الثورة الهائلة في وسائل الاتصال، ونقل المعلومات، والتدفق

(١) موسوعة الشباب للعلوم: ماذا أعرف، العولمة، فيليب مورود يفارج، ترجمة كمال السيد، شركة الخدمات التعليمية، القاهرة، ١٩٩٨، صـ٦.

(٢) صناعة الغد بين العلم والخرافة، د.فتحى عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، صـ٤١.

الإعلامي عبر الحدود الوطنية للدول؛ قد ترتب عليها اختصار غير معهود للزمن والمسافات بين مختلف مناطق العالم، الأمر الذي جعل أفكارنا ومفاهيمنا عن الظواهر والأشياء تتأثر إلى حد بعيد بالأحداث الجارية والتطورات المتلاحقة على امتداد العالم (١)

والمؤيدون للعولمة يستندون إلى أنه «ليس بوسع أحد أن يغفل الدور الحاسم للحاسبات الإلكترونية كسمة مميزة لثورة المعلومات الهائلة التي اصطبغ بها النظام الدولى المعاصر في السنوات القليلة الماضية، وخاصة في مجال الدفاع وبناء القدرات العسكرية للدول، وقد تميزت هذه الثورة بأربعة سمات:

١- ساعدت في اختصار المدى الزمنى الذي يفصل بين كل ثورة صناعية وأخرى.

٢- الاعتماد على نتائج العقل البشري وعلى حصيلة الخبرة والمعرفة التقنية، فيحدد ثمن القيمة بالمعرفة والتكنولوجية المستخدمة وليس على المواد الخام.

٣- مواكبة هذا التطور تستلزم استثمارًا في مجالات بعينها خاصة التي تتعلق بأمور التعليم وتطوير المهارات البشرية، وتنمية كوادر وقدرات تستطيع التعامل والتكيف مع هذه الثورة.

(١) العولمة السياسية انعكاساتها وكيفية التعامل معها، مرجع سابق ٢٣ بتصرف.

٤- في خلال ذلك يتحتم استغلال الطاقات البديلة، والاستفادة من الطاقة الشمسية، واقتحام مجال الهندسة الوراثية وتكنولوجيا إنتاج الطعام الرخيص بكميات وفيرة [١].

وقد «انعكست ظاهرة العولمة على الإدارة، فجعلت المدير العربى - شأنه شأن المديرين العالمين- مطالبًا بألا يعايش متغيرات بيئته المحلية أو الإقليمية فقط، بل أيضًا كل المتغيرات العالمية كمنطق أساسى لبلوغ كفاءة وفاعلية الأداء الإداري » [٢]

ومن المؤكد أن أبرز المظاهر السياسية للعولمة النزوع إلى الديمقراطية؛ فمما لا شك فيه أن ثمة حالة من التطور الديمقراطي على المستوى العالمي أخذت تجد تطبيقات متعددة لها في الدول المختلفة بما في ذلك بعض دول العالم الثالث [٣]

فالنظام الدولي يتسم في هذه المرحلة من تطوره بتعددية قطبية في مجال الاقتصاد، وأحادية قطبية على المستوى الاستراتيجي والعسكري [٤]

ويذهب البعض إلى أن قوة وانتشار العولمة الذي تدعمه الحكومة

(١) المرجع السابق، صـ٢١ بتصرف، وانظر أيضًا: المدير وتحديات العولمة: إدارة جديدة لعالم جديد، د. أحمد سيد مصطفى، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، صـ ٣٦ .
(٢) المدير وتحديات العولمة، مرجع سابق، صـ٢٠ .
(٣) العولمة السياسية وانعكاساتها وكيفية التعامل معها، مرجع سابق، صـ٢٤ .
(٤) المرجع السابق، صـ٦٢ .

الأمريكية والنخبة السياسية والإعلامية الفعالة في واشنطن إلى جانب الشركات الجبارة الأمريكية متعددة الجنسيات هي التي تسيطر الآن على تشكيل «بنية» العولمة، وتستهدف إشاعة وسيادة قيم أسلوب الحياة الأمريكية؛ ولعل ذلك هو ما دفعنا لأن نعبر عن العولمة الآن بأنها أمركة[١].

وبناء على ما سبق يرى هؤلاء المتفائلون أن العولمة أمرًا واقعًا، فهى برأيهم ليست فكرة من الأفكار التي تطرح لمجرد النقاش والحوار والجدل، ثم تنتهى فورتها. وهذا الأمر الواقع برأيهم يحتم طريقة واقعية في التفكير، لأن العولمة فيما يذهبون آخر أبناء الحضارة الغربية، التي يجب على العالم أن يحصد مكاسبها ، وخاصة أن القطار الغربى ورأسه وقاطرته الولايات المتحدة الأمريكية يصر على تسيير المسيرة البشرية العالمية.

ويصور الدكتور «على الدين هلال» هذا الأمر فيقول: «إن العولمة تشبه قطارًا تحرك بالفعل في الوقت الذي لا يزال البعض يتساءل: هل وجود هذا القطار وحركته شرعية أم لا ؟ مع أن سؤالهم وكل قدراتهم لا تملك أن تمنع وجود هذا القطار، أو شل حركته».[٢]

ومن أكثر الآراء تفاؤلًا بالعولمة الدكتور محمود حمدي زقزوق فهو

---

(١) المرجع السابق، صـ٦١ .

(٢) الأهرام القاهرية، ١٩/ ٣/ ١٩٩٩م .

يرى عدم جدوى رفض العولمة سواء من منظور كونها المادة والقوة، أو من منظور إسلامي يهتم بالمادة والقوة.

ويؤكد أنه لا خشية على قيم الإسلام من العولمة؛ لأن الإسلام يحمى المسلمين من خطرها؛ فالإسلام ضاربة جذوره في قلب المسلم، لا تنال منه القيادات الوافدة، مهما كانت قوتها فضلًا عن أن العولمة - بحسب رأيه -أمر واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض ، ومن هنا فالواجب أن نتعامل مع العولمة على أساس أنها ليست شيئًا كله شر، فلنأخذ خيرها ، ولنترك شرها، وإلا تجمدنا وتقوقعنا، وفقدنا القدرة على حماية هويتنا الإسلامية، والمحافظة على جوهر الإنسان الذي لا يتمثل في حياته المادية البحتة فحسب، ولكن في جانبه الروحي أيضًا[1]

ثانيًا: المعارضون للعولمة :

يتبنى المعارضون للعولمة روآهم على ما تجلبه العولمة من تغيير البنية الأساسية لكل مكونات الحياة على المستوى السياسى والاقتصادى، والاجتماعى، والإعلامى ، والثقافى.

مما جعل البعض يقول: « إن العولمة تعطى الناس إحساسًا بأنهم محبوسون في سجن الأرض، وهذا الإحساس لا يمكن إلا أن يفاقم الخوف والإحباط والحرب، وجعل الإنسان يشعر بأنه محرومًا من كل

(١) الإسلام في عصر العولمة، د. محمود حمدى زقزوق، الأهرام القاهرية، ٧/ ٥/ ١٩٩٩م، ٢١/ ٥/ ١٩٩٩م.

حرية، من كل شيء لما لا نهاية، وقريبًا سيسود مناخ بنهاية العالم، وتنتشر الديانات التي تبشر بالويل والثبور وعظائم الأمور»[١]

ومن هنا ظهر خطاب معارض للعولمة كاشف لمثالها، وشارك فيه باحثون ومفكرون من مختلف أنحاء العالم.

ولعل أكثر الكتابات تشاؤمًا من العولمة ، كتاب: فخ العولمة «لبيتر مارتن» و «هارالد شومان» [٢]، فقد فندا العولمة في مختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية والإعلامية، وحاولا التأكيد على أن العولمة في مختلف أبعادها ستزيد معدلات البطالة وانخفاض الأجور، واتساع الهوية بين الفقراء والأغنياء، وتقليص دور الدولة في مجال الخدمات كالصحة، والتعليم ونحو ذلك.

ولا يرون في العولمة إلا الهجمة الجهنمية للرأسمالية لكى تنهى التاريخ لمصلحتها، إنها هجمة لإبعاد الحضارات الأخرى بكل إنجازاتها العلمية والمادية والإنسانية لتفريغ الكون من كل الحضارات إلا حضارة الرأسمالية الأخيرة.

«وأول مظاهر العولمة هو عولمة السياسة بمعنى إخضاع الجميع لسياسة القوى العظمى والقطب الأوحد في العالم وهو الولايات

---

(١) موسوعة الشباب للعلوم، مرجع سابق، صـ١٤٥ .

(٢) ترجمة وتقديم: د. عدنان عباس على، ومراجعة د. رمزى زكى، سلسلة عالم المعرفة (٢٩٥) ، الكويت، ٢٠٠٣م .

المتحدة الأمريكية» [١]

ويذهب البعض إلى أن «العولمة ليست مجرد هيمنة الغرب على بقية العالم، إنها تؤثر في الولايات المتحدة كما تؤثر في البلدان الأخرى [٢]

ونجد سمير الطرابلسى ينبه إلى خطورة العولمة التي تشكلها الولايات المتحدة بجميع جوانبها المهمة حيث يرى أنها الرؤية الاستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية، وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية، والرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها ، وأطماعها، سائرة نحو ذلك الهدف على ثلاثة مسارات متوازية؛ **الأول**: اقتصادى وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة، يحكمها نظام اقتصادى واحد، وتوجه القوى الرأسمالية الدول الصناعية السبع والشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الاقتصادية العالمية صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية وتضبط حركت قوانين السوق وآلياته. **والثانى**: سياسى ويهدف إلى إعادة هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت الإنسانيين، وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية، بغية سلب أمم العالم

(١) المسلمون والعولمة ، د. يوسف القرضاوى، مرجع سابق، صـ ٢١.

(٢) عالم منفلت: كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا، أنتونى جيدنز ، ترجمة د. محمد محيى الدين، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، صـ١٤ .

وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتى لا تستقر إلا بالتشتت الإنسانى. وأخيرًا المسار الثقافى الذي يهدف إلى تعويض البنى الثقافية والحضارية لأمم العالم، بغية اكتساح العالم بثقافة السوق التي تتوجه إلى الحواس والغرائز، وتشل العقل والإرادة، وتشيع الإحباط والخضوع، وتشهد منطقتنا العربية ترجمة لهذه التوجهات من خلال مشاريع الشرق أوسطية والمتوسطية [١]

وكتب فيها الأمير شكيب أرسلان موضحًا أنها نموذج من مخططات الاستعمار [٢]

والعولمة أشد خطورة على الدول الضعيفة، فهى مرتبطة بتهميش الدول المفككة لأنها تستمد هويتها من الاعتراف الدولى الذي تقبض عليه الهيمنة الأمريكية، ومن دار في فلكها من الدول الأوروبية، فهؤلاء هم الذين يمنحون شهادات ميلاد الدول ووفاتها[٣]

ويقول الدكتور حامد عمار: «ليس بمستغرب أن يكرس مفكر أمريكى مثل «نعوم تشومسكى» تحليله وشواهده لهذا الوجه المهيمن كتابه المعنون النظام العالمى القديم والجديد « مدللًا - حتى من خلال

---

(١) العرب في مواجهة العولمة، ضمن كتاب نحن و العولمة من يربى الآخر، مرجع سابق، صـ٥١ - ٥٢.

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، صـ١٩٨.

(٣) العولمة والإسلام والعرب، مرجع سابق، صـ١٤٢ .

الغلاف - الذي يظهر فيه العنوان معدولًا ومقلوبًا على أن النظام العالمي لا يختلف كثيرًا عن القديم في مقاصد السيطرة على دول الجنوب»[١]

ففي المجال السياسي: نجد أن التناقض الموجود بين الديمقراطيات المحلية، وديمقراطية العولمة التي حولت السلطة من الحكومة الدولة إلى الشركات متعدية الجنسيات، العابرة للقارات، ساعد على نشأة نوع من البيروقراطية الدولية الناشئة عن تحكم هذه الشركات في سياسة الدولة وتهديدها بإخراج أموالها من أوطانها.

«وعولمة السياسة تزعم أنها تعمل على إشاعة الديمقراطية الليبرالية في العالم وترعى حقوق الإنسان، وتحامى عن المضطهدين والمعذبين في الأرض، وهذا صحيح بالنسبة لغير المسلمين، أما بالنسبة للمسلمين فهم يؤيدون الديكتاتوريات المتسلطة والديمقراطية الزائفة، وديمقراطية التسعات الأربع المشهورة ٩٩, ٩٩ ٪»[٢]

ومن إفرازات رأسمالية العولمة تفكيك الدول، ونشر الفتن فيها لإشعال الحروب الأهلية والعرقية، وبروز جديد لعصابات المافيا العابرة للقارات أى عولمة الإرهاب المنظم.

يقول مارتن وشومان « إن الرأسمالية النفاثة التي تبدو وكأن

(١) مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، مرجع سابق، صـ٤٢ .
(٢) المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوى، مرجع سابق، صـ ٢٤ .

انتصارها على المستوى العالمي قد صار أمرًا حتميًا، في طريقها لهدم الأساس الذي يضمن وجودها أعنى الدول المتماسكة والاستقرار الديمقراطى» [١]

وفى المجال الاقتصادى: المقصود بالعولمة: هو جعل العالم سوقًا واحدة مفتوحة أى العودة إلى آراء «كنز» من إلغاء الرسوم الجمركية بين الدول، وكذلك كافة القيود التي تحول دون حركة البضائع والخدمات ورؤوس الأموال، فيمكن لأى شركة صناعية أن تقيم مصانع في أى دولة، ويمكن لأى بنك أو شركة تأمين أو مكتب محاسبة أو هندسة أن يفتح فروعًا له، كما تنتقل رؤوس الأموال من عملة إلى أخرى كما تشاء، وتشمل العولمة أيضًا تحويل ملكية الدولة والقطاع العام للمشروعات إلى القطاع الخاص وهو ما يسمى بالخصخصة كما تشمل تحرير أسواق المال والأوراق المالية من أى قيود بحيث تتداول العملات والأسهم دونما قيود فيشتريها من يريد وبأى قدر يريد [٢]

ويرى البعض أن «العولمة العالمية بما تعكسه من زيادة في تدفقات رؤوس الأموال قد تحمل معها مخاطر جمة وأزمات متعددة مثلما قد تحمل معها الفوائد والمزايا » [٣]

---

(١) فخ العولمة، مرجع سابق، صـ ٣٥ .

(٢) العولمة ، مقال للدكتور جمال عطية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٩٠، يناير ١٩٩٩م، صـ ٦ – ٧.

(٣) العولمة المالية: الاقتصاد السياسى لرأس المال الدولى، د. رمزى زكى، دار المستقبل العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، صـ ٨٥ .

والعولمة في وجهها الاقتصادى هي السيطرة الكاسحة لرأس المال الغربى على اقتصاديات العالم الثالث، ووضعه بين فكى الكماشة سواء بخفض أسعار الخدمات أو رفع أسعار الإنتاج مع تخدير الدول وشعوبها بالرواج الاقتصادى الذي سيحدث لهم نتيجة العولمة [١]

ويقود التركيز على السوق العالمية مقابل السوق الوطنية إلى نشوء اتجاهين يهددان بالقدر ذاته البرنامج الاقتصادى الذي أعطى للدولة الوطنية قوتها ورصيدها السياسى في الحقبة الماضية.

فمن جهة تؤدى المنافسة المحمومة إلى ارتحال الصناعات إلى البلدان التي تقل فيها تكاليف العمل والإنتاج مما يحكم على الدول الصناعية بخسارة مستمرة لفرص عمل عديدة لصالح البلدان الأخرى ويساهم في ارتفاع معدلات البطالة وتحويلها إلى بطالة دائمة.

ومن جهة ثانية يقود انهيار اقتصاد البلدان الفقيرة التي تنجح في مواجهة استحقاقات العولمة بصورة إيجابية إلى تفاقم ظاهرة عالمية جديدة هي هجرة اليد العاملة إلى البلدان الصناعية واستيطانها هناك، مع ما ينجم عن ذلك من تزايد مخاطر إعادة تكوين مجتمعات الضواحى الهامشية المستعدة دائمًا للانفجار في البلدان الصناعية [٢]

وفى المجال الثقافى والإعلامى: فقد أصبحت المعرفة قوة كما

(١) المسلمون والعولمة، محمد قطب، مرجع سابق، صـ ١٠ .
(٢) ثورة المهمشين، برهان غليون، موقع الجزيرة نت، نوفمبر ٢٠٠٥ .

كانت القوة معرفة، ومن ثم لم يعد دخولنا أو اقتحامنا لعصر المعلومات مجرد خيار، بل غدا ضرورة ملحة، إذ إن المفارقة جلية بين أن نتهيأ لدخوله وأن نتركه يدخل علينا من خارجنا مكتفين بالانبهار بإمكاناته واستهلاك منتجاته وما يمكن أن تحدثه من آثار سلبية [١]

ولعل أشد ألوان العولمة خطرًا وأبعدها أثرًا هي عولمة الثقافة على معنى فرض ثقافة أمة على سائر الأمم، أو ثقافة الأمة القوية الغالبة على الأمم الضعيفة المغلوبة، بعبارة أخرى صريحة: فرض الثقافة الأمريكية على العالم كله: شرقية وغربية، مسلمة ونصرانية، موحدة ووثنية، ملتزمة وإباحية ووسيلته إلى هذا الغرض الأدوات والآليات الجبارة عابرة القارات والمحيطات من أجهزة الإعلام والتأثير بالكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية بالصوت والصورة والبث المباشر وشبكات المعلومات العالمية الانترنت وغيرها [٢].

ويرى البعض أن العولمة الثقافية أخطر من العولمة الاقتصادية بل هي التي تمهد لها: تحرث لها الأرض، وتفتح لها الأبواب، وتسوق منتجاتها بين الشعوب حتى تسوغ عندها، بل تهواها وتركض وراءها[٣]

وعولمة الإعلام عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في

(١) مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، د. حامد عمار، صـ ٣٧ .
(٢) المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوى، مرجع سابق، صـ ٤٦ .
(٣) المرجع السابق، صـ ٥٦ .

قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة والتكامل والانفتاح بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات ؛ وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي [١]

وبغير الإعلام كان من المستحيل للعولمة أن تحدث، إذ يمثل الإعلام إحدى الركائز الأساسية التي قامت عليها العولمة، ويؤكد «فوكوياما» ذلك بقوله إن العولمة تعتمد على ثلاثة أسس هي:

١- تكنولوجيا المعلومات والإعلام .

٢- حرية التجارية الدولية في مرحلة ما بعد الشركات متعددة الجنسيات .

٣- اقتصاد السوق وحرية الحركة في الأسواق العالمية[٢]

إن مشلكة الهوية الثقافية عندنا إنما تكمن في المقام الأول لا في قوة العولمة أو غزو الأمركة، بل لدى أهل الهوية وحماتها من النخب المثقفة[٣]

(١) العولمة السياسية، انعكاساتها وكيفية التعامل معها، مرجع سابق، صـ١١٤ .
(٢) العولمة وحرية الإعلام، د. سعيد بخيره، ظافر للطباعة، الزقازيق، ٢٠٠٠م، صـ ٣٧ .
(٣) حديث النهايات: فتوحات العولمة ومأزق الهوية، على حرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، صـ ١٧ .

وفى المجال الاجتماعى والبيئى: يرى البعض أن لها آثار سلبية على المجتمع والبيئة، لأن الإنسان في عالم العولمة يتخلى عن أهم مقومات الإنسانية كمعتقده وثقافته ، ومع أن التطور الإيجابي أفضل من الثبات، إلا أنه يتوقف على المنظور المتغير ، وكما يقول الدكتور جلال أمين «فالتشبث بالقديم في كثير من الأحوال هو الأنفع والأصح، بل قد يكون أفضل مائة مرة مما يدعوننا إليه » (١)

إن أية حضارة مهما حققت من تقدم لا يعنى الاعتراف بأحقيتها الحتمية في أن تسود العالم. خاصة حضارة العولمة، حضارة رجل الأعمال الذي لا يعنيه إلا الربح. حضارة الأمريكي الذي لا يفكر إلا في الربح، فهو على سبيل المثال إذا كان يسير في بلد مثل تايلاند ورأى فتاة في الثالثة عشرة من عمرها قال: « إن هذه الفتاة يمكن أن تصبح مصدرًا رائعًا للربح لو استخدمت في بيت للدعارة» (٢) حقًا إنها حضارة الربح الشخصية والتنوير، وحرية المرأة.

كما أن العولمة تصدر للأمم مفاهيم الغرب حول الزواج المثلي، والعلاقات الأسرية المفككة، وحقوق الشواذ، وغيرها من المفاهيم التي يسعى الغرب إلى عولمتها وفرضها على الشعوب ، وتخالف كل الشرائع السماوية والأعراف والقيم السائدة في العالم الإسلامي.

---

(١) العولمة، كتاب اقرأ، رقم ٦٣٦، صـ ١١ .
(٢) المرجع السابق، صـ ٤٠ .

«وقد تبدى هذا بوضوح في مؤتمرات الأمم المتحدة للسكان القاهرة ١٩٩٢م ، والمرأة بكين ١٩٩٤م ، وحقوق الإنسان فيينا ١٩٩٣م ، وكشفت حرارة المناقشات عن مدى شراسة الهجمة الغربية والحضارة الغربية وتعميقها في العالم كله» (١)

وعلى المستوى البيئى فإن دوافع الشركات المتعدية الجنسيات من أجل تحقيق مصالحها ومآربها، فإنها لا تعبأ بتدمير البيئة وتلويثها، وإلقاء نفايات مصانعها في المياه الإقليمية للدولة الضعيفة فتموت الحيوانات المائية التي تمثل أهم مصادر الغذاء، وكذا المحميات الطبيعية كحقول المرجان في المياه الإقليمية المصرية، وقد تكون هذه النفايات مدفونة فتدمر الإنسان وكل الكائنات (٢)

لكل ما سبق يذهب الرافضون لفكرة العولمة لتأثيرها في المجالات المختلفة بالسلب سواء كانت سياسية أو اقتصادية ، أو ثقافية وإعلامية، أو اجتماعية وبيئية.

***

(١) العولمة، د. جمال الدين عطية، مرجع سابق، صـ ١٠ .
(٢) العولمة والإسلام والغرب، مرجع سابق، صـ ١٤٥.

المبحث الثالث
أثر العولمة في هويتنا الثقافية

هوية الإنسان هي ثقافته وثوابته التي تتجدد ولا تتغير، وهوية أى أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقى الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية.

والهوية دائمًا جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجرى التعبير به، والتراث الثقافى الطويل المدى.

وأهم عناصر الهوية الدين؛ ففى الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالبًا ما تتحدد هذه الهوية بالدين.

والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح، لأن الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية.

وإذا كانت هذه هي الهوية ، وهذه أهميتها لكل أحد فإن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته

ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أدة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي ندين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلى والشامل والمحيط ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهى منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، وهى ليست نسبية ولا مرحلية[١].

ومن ثم يتفق إعادة العولمة الغربية على اعتبار الإسلام مقدمة الأخطار التي تواجههم في تقويض أركان دعوتهم في جانبها الأيديولوجي، وقد ظهرت عقب انهيار الشيوعية كتابات وبحوث ومقالات تحذر من الإسلام على أنه الخطر الجديد[٢]

ويحاول بعض فلاسفة العولمة تصورها على أنها «تطورًا حتميًا آتيًا لا ريب فيه، ولا قبل لأحد بدفعة أو الوقوف في وجهه .. دون أن يقدموا دليلًا واحدًا على وجود تلك الحتمية التي نكاد نرى فيها ترويجًا

(١) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، صـ٤٦.

(٢) التقدم العلمى في ظل العولمة والنموذج الإسلامى لتفاعل الحضارات، د. أحمد فؤاد باشا، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩٥)، السنة الرابعة والعشرون، صـ٧.

مذهبيًا وسياسيًا أكثر مما نرى فيها من سمات النظر العلمي الموضوعي المحايد»[١].

ويغيب عن هؤلاء «أن لكل مجتمع إنساني خصوصيته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد، كذلك هناك خصوصية حضارية مميزة لكل مجموعة من البشر تجمعهم ثقافة مركزية تتنوع بداخلها الأنساق الفرعية للثقافات المحلية».[٢]

ونجد في المقابل أن الغرب أحرص على هوياته، وعلى ذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم ، بل هناك مؤسسات ووزارات خاصة للاندماج وتذويب الهويات.

وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية، وكما قال الرئيس أوزال سنة ١٩٩٢: سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون.[٣].

فالقوى الأوروبية يظهرون صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية

---

(١) العولمة والهوية ودور الأديان، د. أحمد كمال أبو المجد، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩١) السنة الثالثة والعشرون، صـ٩.

(٢) الخروج من فخ العولمة، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، دار الوفاء الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، صـ٢١.

(٣) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، صمويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، صـ٤٣٣.

مثل تركيا في الاتحاد الأوروبي، إنها حرب هويات ليس إلا.

كما نلحظ أن الغرب حريص على فرض قيمه الاجتماعية والثقافية وعولمتها، والتي تمثل أسوأ ما عنده بينما لا يسعى إلى عولمة العلم والتقدم حيث يجب الاحتفاظ به.

ومما يزيد من خطورة العولمة ضعف العالم العربى والإسلامى وهزيمته أمام الغرب، وهذا يزيد من اختراق العولمة الثقافية للهوية، كما قال ابن خلدون «المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده»[1].

ولذلك نجد من مظاهر العولمة على الصعيد الاجتماعي والثقافي تزايد انتشار بعض أنماط القيم الثقافية والسلوكيات الاجتماعية الغربية المرتبطة بالملبس والمأكل والتسلية والفن، فضلًا أن العولمة تحمل فكرة استبداد القوى الذي يسخر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه، وتكمن في فكرة سيطرة المهيمن على الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإدارة السياسية على شعوب العالم الفقيرة ، بل والسعي لإفقار ما ليست فقيرة، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوى عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها، وبالمعلومات وبإنتاجها وتدفقها دونما مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصياتها وإمكاناتها.

(١) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الخامسة، صـ١٤٧ .

ومما يزيد من خطورة العولمة ذراعها الإعلامي الخاضع للسيطرة الصهيونية والتي تمسك بخيوطها، وتسير في هذه القوة في السيطرة مع القوة الغاشمة العسكرية في فرض العولمة على الآخرين، فوظيفة المنظومة الإعلامية هي أن تتسلى وتتلهى وتعلم وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الأمريكي على الآخرين، ولتحقيق ذلك صارت ميزانية الإعلام موازية تمامًا لميزانية الدفاع في بعض الدول.

« لقد أسهم التوظيف الشمولي لآلية التدفق الإعلامي ، والسيطرة على معطيات الحدث وتسويته وقياس ردود الفعل حوله في ظهور مفهوم العولمة» (١).

وإذا تأملنا في الإنفاق المهول على الإعلام في الغرب يتأكد لنا مدى تأثير هذا الإعلام في سيطرة النموذج الغربي على غيره، « فإحصاءات عام ١٩٨٦ م تقول إنه بلغ رقم اقتصاد الإعلام في الغرب والاتصالات مبلغ ١١٧٥ بليون دولار تقريبًا منها ٥٠٥ بلايين للولايات المتحدة الأمريكية، و٢٦٧ بليون للجماعة الأوروبية، و ٢٥٣ بليونًا لليابان، و ١٥٠ بليونًا فقط للآخرين في العالم .. هذه الميزانيات الضخمة للإعلام في الشمال جعلته يتحكم بقوة في الإعلام المتدفق، فى اتجاه الجنوب، الأمر الذي أحدث خللًا في المنظومة الإعلامية، وقد فشلت جميع الجهود والمبادرات التي بذلت في إطار الأمم المتحدة لوضع

(١) العولمة وحرية الإعلام، د. سعيد نجيدة، ظافر للطباعة، الزقازيق، ٢٠٠٠م، صـ٣٨.

أسس لقيام نظام إعلامي جديد تحقق التوازن بين الشمال والجنوب»[١].

وهناك الكثير من الدراسات تبين معاناة شعوب شرقية ليست إسلامية وسائرة في الفلك الغربي كاليابان وكوريا الجنوبية من العولمة، بل نجد - أيضًا - بعض الدول الغربية تشكو من عولمة الثقافة في الهوية، حيث نجد فرنسا مع أنها دولة غربية ونصرانية ولكن بسبب اختلاف اللغة فإنها أكثر الدول الغربية التي تشكو من عولمة الثقافة وهيمنة اللغة الإنجليزية، والخوف على الهوية الفرنسية، ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدى إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة[٢].

وهناك تخوف في دول عديدة من تغول الثقافة الأمريكية، منها الفلبين، واستراليا، وكندا، وغيرها من الدول الأخرى.

بعد هذا الخوف من الكثير من دول العالم على هويتهم الثقافية من العولمة الأمريكية، ألا يحق لنا كمسلمين ونحن نحمل أعظم عقيدة وخير لسان نزل به القرآن، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية

---

(١) العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، مرجع سابق، صـ١٣٠ - ١٣١.

(٢) العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (٢٣٦)، ربيع الأول ١٤٢٤ هـ / مايو ٢٠٠٢م، صـ١٢.

العالية أن نخشى من أثر العولمة على هويتنا !!

إن أخطر ما تدعو إليه العولمة تمتد يدها لأصل العقيدة الإسلامية، لما تدعو له من وحدة الأديان وهى دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها، وتهدمها من أصلها، لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية.

إن «العولمة» تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافيًا وفكريًا، فالكون في نظر العولمة الثقافية والفكرية لم يخلق تسخيرًا للإنسان، ليكون ميدان امتحان الناس لابتلائهم أيهم أحسن عملًا!! والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى !! وهذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر العولمة الفكرية والثقافية سوى خرافة [١]

إن هذا العالم المادي لا يعرف المقدسات أو المطلقات أو الغائيات، وهدف الإنسان من الكون هو عملية التراكم والتحكم هذه التي سيؤدى في نهاية الأمر إلى السيطرة على الأرض وهزيمة الطبيعة [٢]

وإذا انتقلنا من العقائد التي هي أصل الهوية إلى اللسان واللغة التي

---

(١) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمى، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، صـ ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) العالم من منظور غربى، د. عبد الوهاب المسيرى، منشورات دار الهلال، فبراير ٢٠٠١م، صـ ١٢٩ .

هي أداة التفاهم والتواصل ، وهى وعاء الفكر وقالبه الحي، وما نراه اليوم من طغيان الثقافة الغربية، حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ولا أدل على ذلك من أن ٨٨٪ من معطيات الانترنت باللغة الإنجليزية، و٩٪ بالألمانية، و٢٪ بالفرنسية و١٪ يوزع على باقي اللغات[١]

إن إحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أن شبكات التليفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ومصر، ونصف هذا الإجمالي كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثة إذ تبلغ ٢ ,٥٨٪ [٢]

ومعلوم أثر هذه البرامج على العقائد والقيم والأخلاق والعادات واللغة.

أما إذا انتقلنا إلى السلوك والأخلاق ، فإن المبادئ الأخلاقية التي تتهاوى في الغرب يومًا بعد يوم حيث سيادة المصالح والمنفعة واللذة وتعظيم الإنتاج والاستهلاك ، والترويج للإباحية والاختلاط، وإغراء الناس بتقليد الأزياء الغربية، وأدوات الزينة، وكذلك التأثير على الروابط الأسرية.

فالعولمة « تريد أن تجعل النمط الأمريكي سائدًا مثل الأمريكي

---

(١) العولمة وقضية الهوية الثقافية، مرجع سابق، صـ١١١ .

(٢) العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، تعقيب نبيل الدجاني، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، صـ٣٣٥ .

البطل الذي لا يقهر، سواء كان محاربًا ، أو ضابط شرطة، أو حتى عندما يتم اقتباس أبطال من العالم الثالث مثل علاء الدين فهو قد يكون عربيًا في الشخصية، ولكنه مصنوع على الطريقة الأمريكية» (١)

ونرى ونلمس أن «الفضائيات الأمريكية والإسرائيلية الناطقة بالعربية تقوم بأكبر عملية غسيل مخ للعرب والمسلمين» (٢).

وكما عبر أحد الباحثين بقوله: إننا نعيش الآن مرحلة يسودها في كل مكان تفكك للبنى الكلية المجتمعية والاقتصادية والثقافية (٣).

***

(١) تبسيط المفاهيم العصرية، العولمة، محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، صـ ٢٢.

(٢) التليفزيون والعولمة، د. محمد فتحى، كتاب الجمهورية، ٢٠٠٢م، صـ٥.

(٣) الصدام داخل الحضارات التفاهم بشأن الصراعات الثقافية ، دييتر سنغاس، ترجمة شوقى جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، صـ١٦٧ .

المبحث الرابع
كيف نواجه العولمة؟

ليس من الحكمة أن نتعامل مع العولمة بمنطق الرفض المطلق، أو القبول المطلق، فالعولمة عملية تاريخية، وبذلك يعد منطقًا متهافتًا ما يدعو إليه البعض من ضرورة محاربة العولمة، فهل يمكن مثلًا محاربة شبكة المعلومات الدولية الانترنت من خلال إصدار قرار بالامتناع عن التعامل معها، وهل يمكن الامتناع عن التعامل مع منظمة التجارة العالمية رغم سلبياتها المتعددة ؟ وغير ذلك من المؤسسات العالمية التي لا يمكن الانغلاق دونها.

إن الرفض المطلق للعولمة لن يُمكّن الدول والمجتمعات من تجنب مخاطرها، كما أن القبول المطلق لها لن يمكنها من الاستفادة التامة منها.

وكما يقول الدكتور أحمد كمال أبو المجد: «إن علينا نحن العرب والمسلمين أن نسأل أنفسنا سؤالًا صريحًا، وأن تكون إجابتنا عليه واضحة، هل نحن في معركة ضد التطورات المصاحبة للتحول نحو

لكوكبة أو العولمة ؟ وهل لدينا بديل نعرفه ، ونريد أن نثبت عليه ؟»[١]

وهناك وسائل عديدة لمواجهة خطر العولمة في المجالات المتعددة:

ففى **مجال العقيدة والأخلاق**، يجب على الدول العربية والإسلامية تعزيز الهوية بأقوى عناصرها، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه وتعالى، والتى تجعل المسلم في عزة معنوية عالية، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المنهزم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عززت الهوية ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصى ولا تقبل الزوبان.

إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته، وعدالته، وحضارته، وثقافته، وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم، فقد استيقظت أوروبا من سباتها الطويل في القرن الحادي عشر الميلادي – على رؤية النهضة العلمية الإسلامية الباهرة، وسرعان ما أخذ كثيرون من شبابها يطلبون معرفتها فرحلوا إلى مدن الأندلس، يريدون التثقف بعلومها، وتعلموا العربية، وتتلمذوا على علمائها، وانكبوا على ترجمة نفائسها العلمية والفلسفية إلى اللاتينية، وقد ضاعفت هذه الترجمات مسالكهم إلى نهضتهم العلمية الحديثة.

---

(١) العولمة والهوية ودور الأديان، مرجع سابق، صـ ١٤ – ١٥ .

وفى المجال السياسي: يتم التعامل مع العولمة من خلال:

١- **إصلاح الأوضاع الداخلية:** فالأوضاع الداخلية في العديد من دول العالم الثالث - ومنها الدول العربية - لا تؤهلها للتعامل بفاعلية مع متطلبات عصر العولمة وتحدياته، مما يحتم ضرورة الشروع في عملية الإصلاح الداخلي.

إن الإصلاح السياسي القائم على تحقيق تحول ديمقراطي حقيقي بصورة تدريجية وتراكمية، يحقق العدالة الاجتماعية، ويكافح ظواهر الفساد السياسي والإداري، يعتبر هو المدخل الحقيقي لبناء دولة المؤسسات وتحقيق سيادة القانون، ويرشد عملية صنع السياسات والقرارات.

٢- **تطوير سياسات التكامل الإقليمي:** إن تطوير سياسات التكامل الإقليمي بين دول العالم الثالث، أصبح ضرورة وذلك نظرًا لعمق التحديات التي تطرحها العولمة على هذه الدول ومحدودية قدرتها على التعامل معها فرادى.

إن أغلب دول العالم الثالث - وعلى رأسها الدول العربية - لا تنقصها هياكل التكامل ولا التصورات والأفكار والبرامج ، ولكن الذي ينقصها هو إرادة التكامل، بما تتضمنه من معانى الحرص والعمل المشترك على تذليل المشكلات والعقبات التي تعيق التكامل.

وفي المجال الاقتصادي: إن لم تقم مجموعة عربية متضامنة، تنسق خططها التنموية وسياستها الاقتصادية ، فإن الوطن العربي لن يستطيع مواجهة المنافسة وميول الهيمنة السائدة على الصعيد الدولي.

«إن المستقبل الذي ينتظر الدول العربية والإسلامية سواء أكان مستقبلًا مشرقًا أم مظلمًا إنما يعتمد في المقام الأول على مدى فعالية الاستراتيجية الاقتصادية التي تتبناها هذه الدول» [(١)].

ولذلك يتعين على العرب التركيز على ما يلي:

أولا: تحقيق تنمية عربية نشطة ومتوازنة ومستقلة لا تهدف إلى التقليل من مخاطر تحديات العولمة فحسب ، بل تعمل على رفع مستوى غالبية الناس أيضًا .

ثانيا: إنشاء سوق عربية مشتركة: فقضية إقامة هذه السوق تستند إلى تعميق مفهوم الهوية العربية والانتماء القومي ، وضرورة دعم الأمن القومي العربي ، إلى جانب المصلحة الاقتصادية المشتركة . فهذه السوق يجب أن تقام تدريجيًا بين الأقطار العربية ، أو بين بعضها كمرحلة انتقالية، لأنها سوف تعمل على توحيد هذه الأقطار ، وتعزز الأمن الاقتصادي العربي ، ومن ثم تعزز الأمن القومي العربي .

---

(١) العولمة والتجارة الالكترونية رؤية إسلامية، بهاء شاهين، مكتبة الفاروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م، صـ ٣٩ .

وعلى المستوى الثقافي: يجب أن نعرف كيف نستطيع فرض أنفسنا وإيصال صوتنا إلى العالم، بحيث نضمن لأنفسنا مكانة في هذه المسيرة الكونية.

إن حاجتنا إلى تحديد ثقافتنا، وإغناء هويتنا، والدفاع عن خصوصيتنا، ومقاومة الغزو الكاسح الذي يمارسه المالكون للعلم والتكنولوجيا، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لابد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والتكنولوجيا.

نحن في حاجة إلى التحديث، أي إلى الانخراط في عصر العلم والتكنولوجيا كفاعلين مساهمين، ولكننا في نفس الوقت في حاجة إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم والتكنولوجيا، وليست هاتان الحاجتان الضروريتان متعارضتين بل متكاملتين.

إن نجاح أى بلد من البلدان النامية، في الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية، مشروط بمدى عمق عملية الانخراط الواعى، في عصر العلم والتكنولوجيا، والوسيلة في كل ذلك هي اعتماد الإمكانيات التي توفرها العولمة نفسها، أعنى الجوانب الإيجابية منها.

لست مجبرًا أن أكون أمريكيا أو فرنسيًا، أو غير ذلك، بل يجب أن

أحافظ على هويتي وثقافتي وعاداتي وأخلاقي، مع الاستفادة بالطفرة العلمية الناتجة عن العولمة ، ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

١- صياغة استراتيجية عربية للتعامل مع العلم والتكنولوجيا الحديثة، وإعادة النظر في المناهج الدراسية والجامعية على نحو يهدف إلى تأصيل الملامح الحضارية في الشخصية العربية لمواجهة تحولات عالم اليوم.

٢- التنسيق والتعاون بصورة متكاملة في وزارات التربية والتعليم العالي والثقافة والإعلام، والأوقاف والشئون الإسلامية، والعدل، للمحافظة على الهوية الإسلامية من أى مؤثرات سلبية.

٣- ضرورة خلق إعلام ناضج ، يبنى الإنسان العربي الواعي والقادر على أن يكون فاعلًا في حوار الثقافات، ومصونًا ضد أخطار العولمة، ومحافظًا على هوية الأمة وقيمها.

٤- ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث إن حرية الثقافة وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها، ولكن لا يجوز فهم الحرية على أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر ، ولكن

الحرية المقصودة هي الحرية المنضبطة بضوابط.

٥- التعرف على العولمة الثقافية، والكشف عن مواطن القوة والضعف فيها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية منفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية ، وفى نفس الوقت نعرّف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة.

***

ثبت بالمراجع

(حسب الترتيب الأبجدي)

١- الإسلام في عصر العولمة، د. محمود حمدى زقزوق، صحيفة الأهرام القاهرية، (٧/ ٥/ ١٩٩٩، (٢١/ ٥/ ١٩٩٩م).

٢- الأهرام القاهرية، (٣٩/ ٣/ ١٩٩٩م).

٣- تبسيط المفاهيم العصرية، العولمة ، محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م .

٤- التقدم العلمى في ظل العولمة والنموذج الإسلامى لتفاعل الحضارات د. أحمد فؤاد باشا، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩٥) ، السنة الرابعة والعشرون.

٥- التليفزيون والعولمة، د. محمد فتحى ، كتاب الجمهورية، ٢٠٠٢م .

٦- ثورة المهمشين، برهان غليون، موقع الجزيرة نت، نوفمبر ٢٠٠٥م .

٧- حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، على حرب، المركز الثقافى العربى، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٨- الخروج من فخ العولمة، د. كمال الدين عبدالغنى المرسى، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م .

٩- صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمى، صمويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

١٠- الصدام داخل الحضارات التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، د. بيتر سنغاس، ترجمة شوقى جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.

١١- صناعة الغد بين العلم والخرافة، د. فتحى عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

١٢- عالم منفلت كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا، أنتونى جيدنز، ترجمة محمد محى الدين، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

١٣- العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، تعقيب نبيل الدجان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م .

١٤- العولمة ، كتاب إقرأ، رقم ٦٣٦ .

١٥- العولمة، د. جمال الدين عطية ، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩٠)، يناير ١٩٩٩م .

١٦- العولمة ، د. عبد الخالق عبد الله، عالم الفكر، أكتوبر، العدد (٢)، ١٩٩٩م .

١٧- العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبى، مجلة الرائد، الدار الإسلامية للإعلام، ألمانيا، العدد (٢٣٦)، مايو ٢٠٠٢ م.

١٨- العولمة والإسلام والعرب، د. السيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

١٩- العولمة والتجارة الإلكترونية رؤية إسلامية، بهاء شاهين، مكتبة الفاروق، القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

٢٠- العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصرى، د. بثينة حسنين عمارة، دار الأمين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

٢١- العولمة والتحديات المجتمعية في الوطن العربى، د. عبد الباسط عبد المعطى، مكتبة مدبولى الطبعة الأولى، ١٩٩٩م .

٢٢- العولمة وحرية الإعلام، د. سعيد بخيره، ظافر للطباعة، الزقازيق، ٢٠٠٠م .

٢٣- العولمة ودور جديد للدولة، د. هالة مصطفى، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٤) ، ١٩٩٨م .

٢٤- العولمة السياسية وانعكاساتها وكيفية التعامل معها، د. فضل الله محمد إسماعيل ، بستان المعرفة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م .

٢٥- العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

٢٦- العولمة في ميزان الفكر دراسة تحليلية، د. عاطف السيد، مطبعة الانتصار، الاسكندرية، ٢٠٠١م .

٢٧- العولمة قضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد

بدر سعد التميمى، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٨- العولمة المالية الاقتصاد السياسى لرأس المال الدولى، د. رمزى زكى، دار المستقبل العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م .

٢٩- العولمة والهوية ودور الأديان، د. أحمد كمال أبو المجد، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩١) ، السنة الثالثة والعشرون.

٣٠- فخ العولمة ، بيتر مارتن وهارالدشومان، تقديم وترجمة د. عدنان عباس على، مراجعة د. رمزى زكى، سلسلة عالم المعرفة (٢٩٥)، الكويت، ٢٠٠٣ م.

٣١- كيف نواجه العولمة، د. أحمد طه خلف الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م .

٣٢- مجلة الفكر المعاصر، العدد (٥٨) ، ١٩٦٩ م.

٣٣- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٣٤- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام ، الدمام، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٣٥- المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٦- المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م .

٣٧- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الخامسة.

٣٨- مناخ العصر رؤية نقدية، سمير أمين، ضمن كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربى، مركز البحوث، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ١٩٩٩م .

٣٩- مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، د. حامد عمار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦ م .

٤٠- موسوعة الشباب للعلوم، ماذا أعرف، العولمة، فيليب موروديفاج، ترجمة كمال السيد، شركة الخدمات التعليمية، القاهرة، ١٩٩٨ م .

٤١- نحن والعولمة من يربى الآخر، سعد البازعى، بحث بعنوان المثقفون والعولمة والضرورة والضرر، كتاب المعرفة (٧) ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

٤٢- الوظيفة في عالم بلا هوية تحديات العولمة، د. حسين كامل بهاء الدين، دار المعارف ، القاهرة، ٢٠٠٠م.

***

الفهرس

مقدمة ٣
تمهيد ٧
مفهوم العولمة ٧
المبحث الأول: ثقافة العولمة ١١
المبحث الثاني: العولمة بين المؤيدين والمعارضين ٢١
أولاً: المؤيدون للعولمة ٢٢
ثانيًا: المعارضون للعولمة ٢٩
المبحث الثالث: أثر العولمة في هويتنا الثقافية ٤١
المبحث الرابع: كيف نواجه العولمة؟ ٥١
ثبت المراجع ٥٨

* * *